الشعرية والخطاب الجمالي في شعر ابن زيدون

الدكتورة/ منيرة دخيل الله العيشي
أستاذ مساعد في الأدب والنقد – قسم اللغة العربية-
كلية الآداب- جامعة الطائف- المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني : monera.a@tu.edu.sa

المستخلص:
المتأمل للإبداع العربي يلحظ تلك العلاقة الوثيقة بين المبدع والشعرية فالشعرية ترتبط بالإبداع ارتباطاً وثيقاً مما يكسب النص حضوره، وذلك عائد لحسن اختيار اللفظ وتنميقه وتزيينه وتحقيق وظيفة الأدب الفنية.
وقد سار البحث على منهج الشعرية في تعاطيه مع النصوص وقد رأت الباحثة أن يتم اختيار ديوان ابن زيدون ميداناً للقراءة ويعد ابن زيدون من أبرز الشعراء الذين تميزوا بعمق الخطاب الشعري ، وجمالياته المتعددة .
وقد جاء البحث في مقدمة يليها تمهيد ومبحثين: تناولت في التمهيد الشعرية بين القديم والحديث مصطلحاتها ووظيفتها في تحقيق جمالية النص
كما تناول المحور الأول: شعرية العنونة في الديوان ، وأتى المحور الثاني يدور حول: شعرية المطالع.

الكلمات المفتاحية: الشعرية. الشعر الأندلسي. الشعر القديم. المناهج النقدية. زيدون .

Poetics and aesthetic discourse in Ibn Zaydoun's poetry

Dr. Monera Dakhil Allah Al-Eishi
Assistant Professor of Literature and Criticism - Department of Arabic Language-
College of Arts - Taif University - Kingdom of Saudi Arabia
Email monera.a@tu.edu.sa

Abstract:

The observer of Arab creativity notices the close relationship between the creator and poetry, as poetry is closely linked to creativity, which gives the text its presence, due to the good choice of the word, its embellishment and decoration, and the achievement of the artistic function of literature.

The research followed the poetic approach in dealing with the texts, and the researcher saw that the Diwan of Ibn Zaydoun should be chosen as a field for reading, and Ibn Zaydoun is one of the most prominent poets who were distinguished by the depth of poetic discourse and its multiple aesthetics.

The research came in an introduction followed by a preface: The preface dealt with poetry between the ancient and the modern, its terms and its function in achieving the aesthetics of the text.

The first axis dealt with: the poetics of the title in the Diwan, and the second axis revolved around: the poetics of the openings,

Keywords: Poetics. Andalusian poetry. Ancient poetry. Critical approaches. Ibn Zaydoun**.**

المقدمة:

المتأمل للإبداع العربي يلحظ تلك العلاقة الوثيقة بين المبدع والشعرية فالشعرية ترتبط بالإبداع ارتباطاً وثيقاً مما يكتب للنص الحضور والتألق والتفرد، وذلك عائد لحسن اختيار اللفظ وتنميقه وتزيينه وتحقيق وظيفة الأدب الفنية والوصول بالمتلقي لتحقيق اللذة عند قراءة النص.

وقد سار البحث على منهج الشعرية في تعاطيه مع النصوص وقد رأت الباحثة أن يتم اختيار " ديوان ابن زيدون "[١] ميداناً لهذه الدراسة، وتكمن أهمية هذه الدراسة في الوقوف على جماليات الأدب القديم ، وتعزيز وفهم اللغة الشعرية العميقة التي تفرد بها المبدع ، وبيان السياق الثقافي الذي ألهم ابن زيدون، وسبب آخر هو أن الخطاب الشعري لدى ابن زيدون خطاب عميق ومتنوع المشارب .

و شعر ابن زيدون من أبرز ما تناولته الدراسات الأدبية، وتنوعت أوجه البحث فيه. من الدراسات التي يمكن الرجوع إليها:

أ. **دراسات تناولت الخصائص الجمالية لشعر ابن زيدون:**

١. محمد عبدالقادر (كتاب الشعر الأندلسي: خصائصه الجمالية)
- ركز على الصورة الشعرية والأسلوب الشعري لابن زيدون.
- ميز دراسته بالاهتمام بالبيئة الأندلسية كعنصر جمالي في شعره.

٢. أحمد هيكل (الفن الشعري عند ابن زيدون)
- تناول فنون الشعر لدى ابن زيدون، وركز على قصيدته الشهيرة "النونية".

ب. **دراسات عن التناص في شعر ابن زيدون:**

١. عبد الحميد الهرامة (بحث التناص في نونية ابن زيدون)
- ركز على تأثيرات شعراء المشرق في شعر ابن زيدون.
- استعرض التناص الديني والأدبي في قصائده.

٢. محمد مصطفى هدارة كتاب (ابن زيدون: شاعر الحب والسياسة)
- جمع بين دراسة الحياة الشخصية والأثر السياسي على شعره.

ما يميز هذه الدراسة (الشعرية والخطاب الجمالي في شعر ابن زيدون) عن الدراسات السابقة :

١. شمولية الموضوع:
- بينما ركزت الدراسات السابقة على جانب محدد (مثل التناص أو الجوانب الفنية و الأسلوبية)، فإن دراستي تتناول الشعرية بشكل شامل : شعرية العنونة وشعرية المطالع . أيضاً منهجية البحث: اعتمدت على الشعرية والخطاب الجمالي الذي يتناول البناء الفني والبلاغي مع العمق الفلسفي والجمالي.

كما تظهر جدة العنوان في :تناولي للعنونة بوصفها خطاباً جمالياً ونصياً ضمن القصيدة، وهو ما قد يغفله الباحثون الآخرون. كما ركزت على دور جمالية الخطاب الشعري في إظهار البعد الإنساني لشعر ابن زيدون، مع محاولة إبراز خصوصيته في إطار الأدب الأندلسي. وتسعى دراستي إلى الإكثار من الشواهد النصية وربطها بسياقاتها التاريخية والجمالية، ما يبرز اختلافها عن الدراسات السابقة. اجتهدت في تقديم رؤية تحليلية للشعرية بالربط بين النقد الحديث وشعر ابن زيدون، و دمج بعض إجراءات التحليل في نظريات مثل التفكيك والبنيوية.

[١] ديوان ابن زيدون ، الناشر دار صادر بيروت ، ١١٩٧٥

وقد جاء البحث في مقدمة يليها تمهيد وثلاث محاور هي :

- الشعرية بين القديم والحديث
- مصطلحات الشعرية
- الوظيفة الجمالية وحضورها المهيمن على الخطاب الشعري

المبحث الأول : شعرية العنونة في ديوان ابن زيدون

المبحث الثاني : شعرية المطالع

الخاتمة والنتائج .

وختاماً أسال الله التوفيق والسداد

التمهيد:

أولًا: مفهوم الشعرية بين القديم والحديث

من يتأمل التراث العربي القديم تتضح له العلاقة بين إبداع الشاعر والشعرية وأن الشعرية ترتبط بالإبداع، كأبرز عنصر مؤثر في الخيال والحس وقد انطلق النقد القديم من إشكالية تصورية باعثها الرؤية الفلسفية في تمحورها حول البحث عن حدود الشعر أي ما هو شعري وما هو غير شعري، ثم بلورتها فيما يسمى بعمود الشعر الذي تم فيه دمج الشعريات ضمن الشعرية العربية الواحدة، حيث أرسى المرزوقي قواعده ،ويفند حسن ناظم آراء بعض العلماء العرب في موضوع الشعرية؛ أمثال الفارابي وابن سينا وابن رشد، ويركز على رأي ابن رشد الذي تبنى قول أرسطو فلفظ الشعرية ترد عنده بمعنى الأدوات التي توظف في الشعر، فيشك - عبر ذلك – في شعرية بعض الأقاويل التي لا تستخدم من أدوات الشعر إلا الوزن[١].

وقد استوعب الجاحظ الصورة الشاملة لمفهوم الشعرية العربية من خلال مقارباته النقدية ، وما وعاه من خصائص الحس العربي ومافهمه من تصور لماهية الشعر، فهو وإن لم يكن شاعرا، فقد أوتي تبعا لسلامة فطرته كثيرا من حدس البلاغيين والشعراء، بحيث يسمح له الرصيد المعرفي بتناول الظاهرة الشعرية، ويرى الجاحظ ضرورة تمثيل الموقف الشعري البلاغي مستبعدا كل تزيد أو تصنع ظهر على الألسنة الشعرية[٢].

ويمكن اعتبار الجرجاني العلامة الفارقة في الشعرية العربية بما أرساه من مبادئ شعرية، لأنه طالب بأن يكون الشعر خادما للقرآن الكريم، ثم سطع نجم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء والذي قال فيه عن نفسه ولقد سلكت حد التكلم في جميع ذلك مسلكا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة[٣].

كما تأثر العرب بالفكر الفلسفي من خلال الفكر الأرسطي، فالشعرية مصطلح قديم حديث في الوقت ذاته، ويعود الأصل في انبثاقها إلى أرسطو، أما المفهوم فيختلف ويتنوع في إطار فكرة عامة تتلخص في البحث عن القوانين العلمية التي تحكم الإبداع أما في العصر الحديث، فقد بنى جاكبسون شعريته على عملية التلقي لأن اهتماماته كانت مركزة على كيفية قراءة النصوص باعتبارها بداية جديدة للرموز التي صاغت ذلك الكلام [٤].

ومن بين الذين حاولوا تأسيس شعرية حديثة الشكليون الروس، الذين كان يدفعهم إحساس بضرورة إقامة علم للأدب، بمعنى وضع مبادئ مستمدة من الأدب نفسه وقد شددوا بدءا على الوزن، ومن ثم كان للإيقاع الدور المركزي في وضع اللبنات الأساسية لنظرية الشعرية، بينما أصبح للوزن الدور الثانوي [٥].

وما دام هناك عدم تطابق في وجهات النظر بين النقاد، فقد وصلت الشعريات الحديثة إلى مفترق طرق عبر تنوع مفاهيمها، بتنوع اتجاهات النقاد وتصوراتهم ففي الوقت الذي يحاول فيه بعض الشعريين إقامة علم للشعر مثل كوهين وجاكبسون يحاول بعضهم إقامة علم الأدب مثل تودوروف وكمال أبو ديب"

---

[١] ناظم، حسن: مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٤، ص ١٢.

[٢] الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: البيان والتبيين، ج ١، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ص ١٠٢.

[٣] القرطاجني، أبو حسن حازم : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب دار ام الغرب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٣، ص ١١٥.

[٤] ينظر: بو مزبر، الطاهر بن حسين : أصول الشعرية العربية، نظرية حازم القرطاجني في تأصيل الخطاب الشعري، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٧، ص ٥٣.

[٥] ينظر: ناظم، حسن: مفاهيم الشعرية، ص ٧٩،٨٠ .

وهذا يدفع إلى طرح سؤال مهم : هل الشعرية هي علم الشعر أم علم الأدب ؟؟ وانتهى الصراع بأنها علم الأدب بوصفها تبحث عن قوانين الخطاب الأدبي في كل من الشعر والنثر[١].

ثانيا : مصطلحات الشعرية

يرى ناظم في كتابه مفاهيم الشعرية أننا في موضوع الشعرية نواجه أمرين أولهما يتعلق بالمفهوم، وثانيهما ما ارتبط بتعدد المصطلحات، وهو من النقاد الذين أسهموا في الحديث عن مفهوم الشعرية وإشكالية المصطلح، ويرى جان كوين أن الخلط بين النظم والشعر ما زال ساريا إلى يومنا هذا، على الرغم من النجاح الذي شهدته القصيدة النثرية فمن منا لا يحلم كما يقول بودلير، في أيام طموحه بمعجزة نثر شعري، موسيقى بدون إيقاع وبدون قافية، فيه من الإيقاع والنعومة والشدّة ما يجعله يتلاءم مع الحركات الغنائية للنفس، ومع تموج الأحلام، وقفزات الوعي[٢].

والعملية الشعرية عند كوين تقوم على المستوى الدلالي والمستوى الصوتي، وهو يفضل المستوى الدلالي، مدعما رأيه بقصيدة النثر التي قد تفرض وجودها شعريا على خلاف النظم الحرفي الذي يراه ثانويا ويمكن الاستغناء عنه، إلا أنه ينتقد القصيدة النثرية معتبرا إياها شعرا أبتر، ومن جهة أخرى يرى النقاد أن عددا كبيرا من المصطلحات التي ابتكرت أصلا للدلالة على تلك السمات الخاصة، التي تميز الأعمال الأدبية عن غيرها، وقد أطلقوا عليها مسميات كثيرة مثل الشعرية، والشاعرية، والجمالية، والإنشائية الأدبية والسردية، وعلم الأدب والفن الإبداعي من النظم ولكن بعض النقاد يخصص بعض هذه الألفاظ للدلالة على نوع أدبي بعينه، والبعض الآخر يعمم، بحيث تدل كل لفظة منها على الهوية الفنية لأي عمل أدبي شعرا كان أم نثرا[٣].

وبعد هذا العرض للمصطلح نجد أن موضوعية نظريات الشعرية غير مطلقة تماما فثمة مستويات لمعالجة هذه القضية، فتتسم الشعرية بالموضوعية في المستوى الأول الذي يتصل باستنادها إلى النص الأدبي فقط في عملية استنباط قوانينه وحتى إذا ما أشركت القارئ المشترك في الشعرية يمارس دوره داخل النص، لا يحيل على أي شيء خارجه[٤].

ثالثا : الوظيفة الجمالية وحضورها المهيمن على الخطاب الشعري

إن مما يكسب النص الحضور والتألق والتميز هو وظيفته الشعرية ، التي تجعله نصا مؤثرا مختلفا ينأى في نظامه اللغوي عما نعثر عليه في غير الشعر، ولعل السبب في ذلك يعود إلى حسن اختيار الكلمات الشعرية، وتنميق الصور الفنية، ثم إعادة بنائها وتشكيلها في نسيج نصي جديد، يتجاوز حدود المألوف. والبعد الجمالي للنص يثير في نفس القارئ أسئلة كثيرة حول القيم المتوخاة من خلال إنتاج النص الشعري، والدور الفاعل الذي تمارسه اللغة عبر ظلالها الجمالية التي ترتقي إلى أن تصبح هي في حد ذاتها غاية للشعرية.

وللرقي بالوظيفة الفنية نجد بعض النقاد بدأوا ينادون بضرورة أن تكون الغاية من الأدب الأدب ذاته أي تحقيق المتعة واللذة بعيداً عن النفعية، وقد تمثلت هذه الدعوات في مذاهب عدة منها: الفن للفن والفن من منظور هؤلاء في جوهره خبرة من نوع خاص ليست الحسية ولا بالعقلية الموضوعية، هو خبرة جمالية، ولا يمكن فهم حقيقة الفن إن لم تفهم طبيعة الخبرة الجمالية[٥] .

فالقيمة الجمالية تحمل طابع الإطلاق فهي ليست محددة، لأنها تهيمن على سائر الوظائف المتعلقة النص الأدبي، وبالتالي هي التي ترفد المتلقي بالمتعة أثناء عملية قراءة هذا النص ويجد المتلقي منها للنص لذة ، ومن هذا المنظور يخلع الجمال الفني عنه ثوب المنفعة، ليرتدي اللذة المتحققة من الفن، إذ أن

---

[١] المرجع السابق، ص ٨٣ .

[٢] كوين، جان : بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد العمري ومحمد والي دار توبقال للنشر، ط١، ١٩٨٦، ص ٥١.

[٣] اللبدي، أيمن: الشعرية والشاعري، دار الشروق، عمان، ط١، ٢٠٠٦، ص ٢٠.

[٤] ناظم، حسن: مفاهيم الشعرية، ص ٣٣.

[٥] سويف، مصطفى: الأسس النفسية في الإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٨١، ص ٤٢.

الفنان لا يستهدف من عمله الفني أن يكون ذا غاية نفعية، كأن يستخدم الفن كأداة للتعلم أو الوعظ الديني، أو لكي يحقق ثروة أو مجداً، أو شهرة أو على سبيل الحظوة بتقدير علية القوم أو الفوز بمراتب الشرف والجوائز بل يتمدد مفهوم الالتزام الفني الخالص بمقدار ما يكشفه لنا الفنان من الحقيقة الجمالية [١].

وخلاصة القول إن الإمتاع المتحقق من خلال الشعر هو في حد ذاته وسيلة لبلوغ غاية الجمال وبناءً عليه حظي النص الشعري برعاية كبيرة، جعلت الوظيفة الجمالية مهيمنة على مكوناته جميعها.

المبحث الأول: شعرية العنونة في ديوان ابن زيدون

أولا: أهمية العنوان

ثانيا: أنواع العنونة

١. المكانية
٢. الدلالية
٣. العنونة الشخصية

أولا: أهمية العنونة:

يعد العنوان مفتاحاً للدخول إلى عالم النص وأهم العتبات النصية التي تكشف لنا ماهية العمل الأدبي، وإن لم يكن هو حلقة في القصيدة فإنه الحلقة الأقوى التي تشد إلى غيرها من وحدات النسق الجمالي بكل تفاصيله، ويرى سعيد علوش أن العنوان مقطع لغوي أقل من جملة يمثل نصا أو عملا فنيا[٢] فالعنوان عنده جامعا لأشتات النص على محدوديته وقصرها. وهكذا نرى أن للعنوان دورا هاما وثورة نصية ناطقة عنه، جامعة لأشتاته، فهو بالتالي تعريف أولي للنص يشي بمضمونه ويكشف محتواه، ودون هذا العنوان يبقى النص ضبابيا يكتنفه الغموض، وكلما كان في العنوان انزياح ومخالفة في التركيب، فإنه يستفز القارئ، ويغريه للخوض في تفاصيله الجمالية، والعنونة الشعرية للكتاب أو المسرحية أو القصة، وصف تتضح به صورته ويدلف منها إلى عالمه انطلاقا من هذا العنوان الذي يُعد كالاسم للشيء، يعرف به، وبفضله يتداول ويشار إليه، وفي الوقت نفسه يسمه، والعنوان علامة ليست من الكتاب، جعلت له كي تدل عليه[٣]. وكذا عنوان القصيدة وشائج قربي كبيرة تجمع ما بين المعبر عنه والمعبر ، فلا يستقيم عنوان حتى يكون مرتبطا بالمضمون الشعري.

ثانيا: العنونة عند ابن زيدون

للعنوان لدى شاعرنا حضور لافت على مستوى الدلالة والإيحاء بمضمون المتن الشعري، فعندما ينتقي ابن زيدون العنوان، يحرص على تجاوز السطحية في طرح العتبة النصية غالبا، فمن يتأمل العنوانات في ديوانه يلمس جانب التكثيف الدلالي ، كما نراه يستحضر الواقع بشخصياته ورموزه كما أن القراءة الأولية للديوان تكشف مدى العلاقة بين العنوان ونص القصيدة ، وفيما يلي عرض للعنوانات لديه كما ظهرت في هذا الديوان :

أولا: العنونة المكانية:

يتجلى حضور المكان في نص ابن زيدون بشكل لافت وقد تعددت الأمكنة لديه وأتى المكان بكل تفاصيله حاملا دلائل عميقة، لا كمكان جغرافي فحسب بل بأثره في تشكيل رؤية الشاعر لهذا المكان في أوضاع بعينها، تعكس حبه لهذه الأمكنة وامتزاجها بوجدانه وإحساسه. فمعاينة الشاعر للمكان هي معاينة حدسية فوق شعوريته ، تتجاوز الإدراك الخارجي، لتتكون بحقيقة الذات، فالمكان بنظر الشاعر

---

[١] أبو الريان، محمد علي : فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٨، ١٩٩٤، ص ٤٦.

[٢] علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص ١٥٥.

[٣] عبد الله محمد: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ،الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط١، (د،ت)، ص ١٥.

حدس للمطلق اللامتناهي؛ لأن الشاعر كما الإنسان العادي، يتعامل مع الأشياء التي تلح عليه، لكنه يتجاوزها إلى التفكير والتأمل، راغبا من ذلك البقاء المعنوي لا المادي أو الجسدي[١].

يطالعنا عنوان (الوطن الحبيب)[٢] والعنوان لديه هنا مكون من كلمتين تحمل دلالات عميقة، حيث وظف الشاعر مفردة : " الوطن " هذه المفردة التي تشي بمعاني الانتماء والحب والحياة ، أما ملفوظ " الحبيب " فيخلق لنا ارتباطاً وجدانياً مباشراً ، حيث يصبح الوطن ذاتاً فاعلة مجسدة ، ويقوم العنوان لديه على التكثيف والاختزال حيث يقدم لنا دلالة مع بقاء المعنى يحمل دلالات عدة ، ومن جماليات العنوان لديه توظيف لفظ " الحبيب " يوحي بالحب مما يعكس صورة وطن نابض بالحياة والحب ؛ مما يرسخ البعد التاريخ العميق للوطن ، وتتجلى شعرية العنوان في النص من خلال بعض أبيات أرجوزته [٣]:

إذا أتيت الوطن الحبيبا،
والجانب المستوضح العجيبا،
والحاضر المستفتح الرحيبا ،
فحي منه مأرى الجنوبا ،
مصانع تجتذب القلوبا ،
حيث ألفت الرشأ الربيبا

حيث يتكرر استحضار صورة الوطن بكل مكوناته المادية والطبيعية ، مما يشي بالانسجام بين العنوان والمضمون ، ويشكل العنوان لديه عتبة تحفيزية للولوج إلى القصيدة حيث يدعو القارئ إلى استكشاف صفات الوطن ، مما يعزز من توقعات المتلقي حول مضمون النص الذي يمزج بين الفخر والاعتزاز بالوطن وأمكنته ،وحاضره وماضيه وكائناته ومبانيه

ففي هذا النص نجد الفخر بالمكان والاندماج به؛ فيطالعنا النص بفيض من الأمكنة (المصانع، ومربى الضباء،) التي تتشاكل فيما بينها لتشكل لنا قدرة الشاعر في التعاطي مع المكان حين يقول [٤]:

مصانع تجتذب القلوبا ،
حيث ألفت الرشأ الربيبا

نلحظ في هذا النص حشد عدة أمكنة بدءً من العنوان حيث تتخذ العنونة مدخلاً لفضاء النص الذي يحمل مدلول المكان .

وفي نص آخر يعنونه ب(قرطبة الغراء)[٥] نجده يتغنى بالمكان وبجماله ويستدعي الطبيعة تشاركه رسم هذا الجمال فيقول :

سقى الغيث أطلال الأحبة بالحمى
وحاك عليها ثوب وشي منمنا
واطلع فيها للأزاهير ، أنجما
فكم رفلت فيها الخرائد كالدمى
..
سقى جنبات القصر صوب الغمائم
وغنى على الأغصان ورق الحمائم
بقرطبة الغراء ،دار الأكارم

[١] عقاق، قادة: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣، ص ٢٦٨.
[٢] ديوان ابن زيدون ص ٢٩
[٣] السابق ١٥
[٤] الديوان ١٥
[٥] السابق ٢٩

بلاد بها شق الشباب تمائمي

فأتى المكان على تعدديته الطبيعي منه مشحوناً بكثير من المشاعر ومما نلحظه إسناد المشاعر للمكان ، وكأن المكان يجسد لنا الإحساس ويظهره وهنا يبدع الشاعر في حشد الأمكنة و أنسنتها ، وتوظيف مظاهر الجمال في الطبيعة فهو مصور تشكيلي بارع لروح المكان، وتفاصيله، وطبقاته، وطبيعته الخلابة، وظلاله، وذاكرته وحلمه وزمنه إلى الدرجة التي يتحول فيها أحيانا إلى كائن شعري مكاني .[١]

وفي نص (سلام على قرطبة)[٢] يأتي العنوان محملاً بأبعاد عاطفية وتاريخية ورمزية ، فهو يعبر عن الشوق والحنين إلى مدينة قرطبة التي تمثل موطن الذكريات له ومسقط القلب ؛ خاصة علاقته بولادة بنت المستكفي ، استخدام مفردة " سلام " تحمل معاني الدعاء والوداع في ذات الوقت ، مما يعكس علاقة الاتصال والانفصال بالمكان ، أما الدلالة التاريخية فقرطبة رمز للحضارة والعلم والفنون ، والعنوان يشير لتقدير الشاعر للمكان ليس مكاناً جغرافياً فحسب بل مكاناً حضارياً ، كما أن العنوان هنا يمثل بعداً رمزياً فقرطبة ليست فقط مكاناً واقعياً بل هي رمز لكل جميل وعزيز لدى ابن زيدون كالحب والإبداع والشباب " سلام" هنا تقرأ كرسالة خالدة من الشاعر موجهة إلى المدينة التاريخية الأصيلة وكأنه سلام وداع .والعنوان هذا يشكل مفتاحاً للولوج داخل النص وفهمه ،إذ يعبر عن الحنين والإجلال ويعكس العلاقة بين الشاعر وقرطبة كفضاء مكاني وزماني وروحي ، وكلمة " سلام" توحي بالمفارقة بين السلام الذي يتمناه الشاعر للمدينة والحالة النفسية المضطربة التي يعيشها بسبب الفقد والحنين فنجده في هذه القصيدة يقول :[٣]

على الثغب[٤] الشهديّ من تحية زكت ، وعلى وادي العقيق سلام
ولازال نورٌ في الرصافة ، ضاحكٌ بأرجائها ، يبكي عليه غمامُ
زمانَ ، رياضُ العيشِ خضرٌ نواضرٌ ترفّ ، وأمواهُ السرور جمامُ
فإن بان مني عهدها ، فبلوعةٍ يشبّ لها ، بين الضلوع ،ضرامُ
تذكرت أيامي بها فتبادرت دموعٌ ، كما خان الفريدَ نظامُ

وتتعدد الأمكنة وتتباين في النص ولكن يجمع بينها امتزاج روحه وإحساسه وعواطفه ومشاعره فخراً بهذه الأمكنة وحنيناً ولوعة عليها ، ولكننا سنكتفي بهذه العتبات المكانية التي أضفت على النص جمالية وحضوراً.

ثانيًا: العنونة بالشخصية

ثمة علاقة بين أسماء الشخصيات وبين ما ينبض به النص من مواقف ذلك أن اختيار الشاعر إنما يتأسس على اتجاه الدلالة، ومحتوى المضمون، وللشخصية أثر في إثراء النص ومنحه الكثير من الدلالات النفسية و الوجدانية .

نجد نص "الملول المتلون "[٥] يصور لنا حال تلون محبوبته وقطعها حبال الوصل واستطاع الشاعر أن ينفذ إلى أعماق الذات المخاطبة ويصور تلونها تصويراً دقيقاً من خلال التقابلات" صحيح الود /ذي جسم عليل" هذا التناقض بين صحة المشاعر وضعف الجسد هو مما يعبر عن الأثر النفسي السلبي لشخصية الملول المتلون .

والشاعر ينقل انفعالاته من خلال اللوم والتساؤلات ، وكذلك توظيف نبرة اللوم والتعجب " علام صرمت حبلك من وصول " التي توحي بالحيرة والغضب

[١] عبيد محمد صابر: التشكيل الشعرى في الصنعة والرؤيا ، دار نينوى، دمشق، ط ١، ٢٠١١، ص ١٩ .
[٢] ديوان ابن زيدون ٧١
[٣] السابق
[٤] بمعنى : الغدير
[٥] ديوان ابن زيدون ص ١٨

ويتخذ الشاعر من العنوان بؤرة يدور المتن الشعري حولها، ليمتده بتفاصيله منتجا نصاً يحمل كل سمات الشخصية الملولة .

وفي قصيدة أخرى بعنوان " يا نائماً " [١] يوجه النداء إلى النائم ومن خلال النص يتضح أن النداء نداءً عاطفياً فالعنوان هنا يحمل بعداً مجازياً ويثير في ذهن المتلقي تساؤلات حول العلاقة بين النائم والمتكلم ،وما إذا كان العنوان يحمل عتاباً أم حنيناً أم دعوة إلى اليقظة يقول[٢] :

ماضر لو أنك بي راحم وعلتي أنت بها عالم
يا نائماً أيقظني حبه هب لي رقاداً أيها النائم

وتطاعنا قصيدة بعنوان " المحب القنوع "[٣] فالعنوان يعكس شخصية المحب القنوع الذي يرضى من المحبوب بالقليل :

سأقنع منكِ بلحظ البصر وأرضى بتسليمك المختصر
ولا اتخطى التماس المنى ولا اتعدى اختلاس النظر
أصونك من لحظات الظنون وأعليك عن خطرات النظر

العنوان هنا يشير إلى الحالة العاطفية التي يغلب عليها الرضا ، حيث يعبر عن شخصية المحب الذي لا يطلب أكثر مما هو متاح و" القنوع" يوحي بالإخلاص حيث يقبل المحب ما يأتي من المحبوب قليلاً أو كثيراً وهذا يدل على أن حبه صادقاً خالٍ من الأنانية ، هذا التركيب " المحب القنوع " يكشف عن شخصية الشاعر التي تجد السعادة في الحب ذاته بعيداً عن تحقيق المكاسب المرتبطة به مما يعكس تصوراً روحياً للحب وهذا ما نجده في أبيات هذه القصيدة .

وفي قصيدة" ملك يسوس الدهر"[٤] نجده يمتدح أبا الوليد بن جهور صاحب قرطبة ، وهذا العنوان يعكس معاني القوة والنفوذ ، والحكمة والسيادة المطلقة ؛ فهو يشير إلى ملك يتمتع بالسلطة الممتدة إلى الدهر ، فهو نفوذ يتجاوز الزمن وفي هذا إشارة إلى قدرته على التأثير في مجريات الأمور ، والربط بين الملك والدهر يحمل إيحاء بالخلود والتأثير الممتد عبر العصور مما يوحي بأن هذا الملك يمثل رمزاً أو أسطورة خالدة ، وتأتي مفردة " يسوس" لتمنح العنوان دلالات عميقة فهي تشير للتدبير والحكمة والحنكة والسياسة والعقلانية الفطنة في سياسته للأمور وهذا ما نعكس على قصيدته :

للجهوري أبي الوليد خلائق كالروض أضحكه الغمام الباكي
ملك يسوس الدهر منه مهذب تدبيره للملك خير مِلاك

وفي قصيدة أخرى لابن زيدون بعنوان" الشاعر الكاذب " [٥]والتي جاءت في سياق هجائه لأبي الحزم بعد أن سجنه، يحمل دلالات قوية تعبر عن التحول في العلاقة بين الشاعر وممدوحه. ويشير العنوان إلى تناقض صارخ بين صفتي الشاعر (الذي يُفترض فيه الصدق العاطفي وجمال التعبير) وصفة الكذب، مما يجعل العنوان إدانة مباشرة لشخصية أبي الحزم، واتهاماً له بالخداع والنفاق.

كما أن استخدام ابن زيدون لهذا العنوان يعكس رد فعل غاضب على الخيانة التي تعرض لها، حيث كان يمتدح أبا الحزم سابقاً، ثم صُدم بسجنه على يديه، فاستعار صفة الكذب ليصف بها أبا الحزم كمن يرد عليه بالمثل.

العنوان يوحي بتحول جذري في العلاقة بين المادح والممدوح، حيث يتخلى ابن زيدون عن مدائحه السابقة ليهاجم أبا الحزم بقسوة، مما يعكس خيبة أمله العميقة.

---

[١] ديوان ابن زيدون ص٢٣
[٢] السابق نفسه
[٣] السابق ص٦٤
[٤] السابق ص ٩٨
[٥] ديوان ابن زيدون ٢٩٩

إذا كان أبا الحزم يمثل السلطة في تلك الفترة، فإن وصفه بـ"الشاعر الكذاب" يحمل دلالة أعمق تتعلق بانتقاد فساد السلطة أو انحرافها، حيث لم تحفظ جميل الشاعر وسجنته بدلاً من تكريمه.

استخدام مصطلح "الشاعر الكذاب" ربما يحمل سخرية مُبطنة من شخصية أبي الحزم، حيث ينزع عنه مكانته الأدبية أو الثقافية، متهماً إياه بالكذب حتى في أفعاله.

يتجلى ذلك في أبيات القصيدة [١]

قل للوزير وقد قطعت بمدحه زمني ، فكان السجن منه ثوابي
لا تخش في حقي بما أمضيته من ذاك فيّ ، ولا توق عتاب
لم تخط في أمري الصوابَ موفقاً هذا جزاء الشاعر الكذاب

فالعنوان يشير إلى أن أبا الحزم لم يكن صادقاً في وعوده أو عهوده، وهو ما جعله في نظر ابن زيدون لا يستحق المدح الذي ناله سابقاً، بل استحق الهجاء بسبب أفعاله التي وصفها بالخيانة. فهذا العنوان يعكس عمق الصدمة والغضب الذي شعر به ابن زيدون من تحول موقف أبي الحزم ضده، كما يظهر ذكاء الشاعر في استخدام التلاعب اللغوي والسخرية للتعبير عن نقده اللاذع .

ثالثًا: العنونة الدلالية:

والمقصود بها مجموعة العناوين المرتكزة على المفارقات والمكتنزة بالدلالات، التي تتجاوز الوعي المباشر، بحيث تثير أسئلة الحيرة لدى المتلقي، وتدخله في متاهات التناقض وانشطار معايير اللغة، بما يفتح على التركيب وجها دلاليا جديدا، وتكثيف المعنى على هذه الصورة في العنوان يكسبه جانبا من الدهشة والغموض. وتندرج عناوين كثيرة من قصائد ابن زيدون تحت هذا اللون من العناوين المجافية للمباشرة، ومن ذلك عنوان قصيدته " المعاذير فنون "[٢]

يحمل هذا العنوان مشاعر العتب ويعبر عن طبيعة الأعذار ويترك للقارئ المجال للتأمل في العلاقة بين التبرير و الحقيقة ، كما يوحي العنوان بأن التبرير قد يتلون حسب الشخص والموقف مما يجعل المعاذير فناً ، واستخدام مفردة " فنون " يشي بهذا المعنى

فوجوه اللفظ شتى والمعاذير فنون

ويطلعنا عنوان قصيدة يحمل مسمى " قلب جماد " [٣] يقوم هذا العنوان على المفارقة العجيبة ؛ فالقلب رمز الحياة والمشاعر والجماد رمز الموت وهنا تظهر المفارقة بين الموت والحياة ، حيث عبر الشاعر عن التناقض بين توقع الحنان والدفء وبين البرود واللامبالاة ، مما يشعر بعجز الشاعر عن التأثير في المحبوب. يقول في القصيدة :

أحين علمت حظك من ودادي ولم تجهل محلك من فؤادي
وقادني الهوى ، فانقدت طوعاً وما كنت غيرك من قيادي
رضيت لي السقام لباس جسم كحلت الطرف منه بالسهاد
أجل عينيك في أسطار كتبي تجد دمعي مزاجاً للمداد
فديتك إنني قد ذاب قلبي من الشكوى إلى قلب جماد

فعنوان القصيدة يجسد حالة نفسية يغلب عليها الحزن واليأس حتى يصل الشاعر لمرحلة من الشكوى والتعبير عن العاطفة الغير متبادلة .

وفي نص " سلام الوداع"[٤] يعبر العنوان عن لحظة وداع مليئة بالحزن ولكنه يحمل في طياته دلالات التسامح والتصالح رغم الفقد ، وتوظيف مفردة " سلام " توحي بثنائية البداية والنهاية فقد أضيفت للوداع في تناقض رمزي يعبر عن نهاية العلاقة وتحمل في الوقت نفسه دلالات السلام الداخلي والوداع الهاديء

[١] ديوان ابن زيدون ٢٩٩
[٢] السابق ص ١٩
[٣] ديوان ابن زيدون ٢٤
[٤] السابق ٣٤

عليك السلام سلام الوداع وداع هوى مات قبل الأجل
وما باختيار تسليت عنك ولكنني مكره لا بطل

وفي نص بعنوان " جسم من الماء " [١] هذا العنوان يحمل شعرية عميقة ومفارقة لافتة ، مما يجعله مجالاً للتفكير ، وتكمن المفارقة في التناقض بين الظاهر والمعنى فالماء سائل والجسم صلب، هذا التناقض يخلق مفارقة ملفتة حيث يجسد ماهو غير مادي وكأنه جسم حي له صفات إنسانية .كما أن العنوان يجمع بين صفات الماء كعنصر طبيعي وصفات الإنسان ككائن حي له صفات الإنسان وهنا يظهر مزج المادي بالمعنوي ، ويشير العنوان إلى الصفات المثالية (الصفاء والرقة)التي يراها الشاعر في محبوبته .

وفي قصيدة " توبة غير نصوح "[٢] يحمل هذا العنوان بعداً فلسفياً حول طبيعة الإنسان المتأرجح بين الخير والشر مما يجعل القارئ يواجه أسئلة حول الصدق مع النفس والقدرة على الوفاء بالتوبة كما أن هذا العنوان يدعو القارئ إلى الغوص في مضمون النص +ليكتشف سبب التوبة الغير نصوح .

ويمض البناء الشعري عند ابن زيدون معتمدًا على مطارحة العنوان، ممتدًا إلى طبيعته الدلالية ليكشف عن جماليات النص وحضوره، موضحا جملة العناوين المرتكزة على المفارقات والمكتنزة بالدلالات التي تتجاوز الوعي المباشر.

المبحث الثاني: شعرية المطالع

يعد مطلع القصيدة مفتاحاً من مفاتيح الدلالة على الرؤيا التي يقوم عليها النص، فمن خلاله يتبين المعنى المراد وتتجلى الفكرة المقصودة ، وفي زواياه الفنية تتحدد وجوه الجمالية، ومن المطلع ينطلق الشاعر في فضاء الكون الشعري باحثا عن معالم القصيدة. وقد اهتم النقاد منذ القدم بالأدبيات الأولى في القصيدة، وعدوها معيارا لجودة الشعر، وعلامة على تماسك الصياغة الفنية، بل نجد من نقادنا من تناول دلالة كلمة المطلع على بدء القصيدة كالجاحظ، والجرجاني، وابن قتيبة ، وابن رشيق، حيث يتداولون كثيرا عدة أسماء يريدون بها الدلالة على أصول القصيدة.[٣]

وقد دعا النقاد للاهتمام بالمطالع لما لها من أثر في تشكيل الخطاب الشعري، كما دعوا إلى تكثيف الدلالة، وتركيزها في فواتح النص لطبيعة موقعها من نفس المتلقي، وعلاقتها بجسد القصيدة، كما ربطوا بين حسن المطلع وموضوع النص، فالشعر كما يقول ابن رشيق القيرواني قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقر السمع به يستدل على ما عنده، من أول وهلة.[٤]

ومطلع القصيدة يجب أن يكون مشوقاً و محفزاً للقارئ بحسن الصياغة مما يقود القارئ إلى الولوج داخل النص وفهم مراميه ، وتذوق حسنه ، كما أنه مُبعد للقارئ إذا وجد فيه تقصير من المبدع وبعد عن التحسين، ولم يشتمل على صفة التشويق، وقد يترك المتلقي القصيدة لضعف مطلعها، وبعده عن الجمالية والشعرية في مستهلها. ولهذا كان مطلع القصيدة موضع تردد ودراسة، وكان محل تجربة، فقد روي أن بعض الشعراء يضع أكثر من مطلع لقصيدته قبل أن يستقر على المطلع الأوحد لها.[٥]

ويجب أن تتناغم أمور أخرى في المطلع وليثبت المبدع أفكاره على الوجه الصحيح، عليه أن يراعي انسجام الخطاب والمتلقي الشعري، واتساقه في إبداعه، وهذا أقصى ما يطمح إليه المبدع والناقد.[٦]

---

[١] ديوان ابن زيدون ص ٥٤
[٢] السابق ٧٦
[٣] حفني، عبد الحليم: مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٣.
[٤] القيرواني، ابن رشيق :العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج ١، دار الجيل، بيروت، ط ٤، ١٩٧٢، ص ٢١٨.
[٥] العشي، عبد الله :أسئلة الشعر بحث في آلية الإبداع ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩، ص ٢٩.
[٦] السد، نور الدين :الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، ج ١، مطبعة دار هونة، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٢٤٤.

نظام الجملة المطلعية:

تتجلى عناية ابن زيدون بالمطالع الشعرية من خلال الوقوف على قصائده ذات بعد وجداني . بحيث يظهر اهتمامه بالبيت الأول ويركز عنايته عليه، ليترك أثراً جميلاً في نفس المتلقي، ملتفتاً إلى جرس الحروف والقوافي، مما يجعل أبيات القصيدة كافة، تتناغم مع الإيقاع المنبعث من المطلع الشعري، وتكثر في شعره أساليب الأمر والنداء والاستفهام وسنقف عند كل نوع من هذه الأساليب .

أولًا: جملة الأمر:

يتربع أسلوب الأمر على عرش مطالع القصائد عند ابن زيدون، منبعثا من خفايا نفسه المتشظية القلقة المشحونة بالحزن واليأس والرجاء والخيبة والأمل، ففي قصيدة " عادة التجني" يقول[١] :

ثقي بي ، يا معذبتي ، فإني سأحفظ فيك ما ضيعت منّي

الشاعر في مطلع هذا النص يخاطب محبوبته بأسلوب الأمر" ثقي " فهو يطلب أن تمنحه الثقة وكون لفظ " معذبتي" يحمل معنى التوجع والألم نجده يلجأ للأمر في محاولة لإعادة العلاقة وجمع بين الأمر والنداء ليعزز للجانب العاطفي "سأحفظ فيك ما ضيعت مني " تعكس هذه العبارة الشعرية حالة الأسى فهو برغم ما فقد سيظل حافظاً للود مخلصاً للحب وهنا يعبر عن التزامه العاطفي تجاه محبوبته فيظهر لنا نوعاً من الوفاء في العلاقات حتى وإن كانت تسير نحو الفراق.

ومن أساليب الأمر البلاغية خروج الخطاب لغايات المدح بفعل الأمر المباشر قوله في قصيدة " فداء باديس"[٢] :

سل المعشر الأعداء إن رمت صرفهم عن القصد، إن أعياك منه مرام

بدأ الشاعر نصه بأسلوب الأمر "سل " في معرض خطابه الذي امتدح ابن جهور ويشكر ابن باديس فهو يمدح فيه سياسته مع أعدائه والتصدي لمؤامراتهم وثباته على مواقفه أمام أعدائه .

وقال في مطلع قصيدة يهنئ فيها المعتمد بقدومه[٣]:

اقدم ، كما قدم الربيع الباكرُ واطلع ، كما طلع الصباح الزاهر

فهو يعتمد في مطلع الجملة على أسلوب الأمر (اقدم ، اطلع) ويقرنه هنا بالتشبيه (الربيع ، الصباح) فأتى المدح راقياً دلالة الفعل (اقدم واطلع) تشير إلى القدرة على الحركة والتغيير والتحرك بثبات ، كما أن توظيف الطبيعة بأبهى صورها (الربيع والصباح) تمنح النص شعرية عالية فهما رمزان للجمال والتجدد والحياة وهو يستوحي هذه الصورة من الطبيعة ليخلعها على الممدوح ليرسم صورة الممدوح على أنه باعث للحياة فيمن حوله ، وجالب للبهجة والنور كما الصباح والربيع فهو رمز للجمال والأمل والعطاء .

وفي قصيد الشاعر الكذاب نجده يوجه الخطاب لهجاء أبي الحزم فيقول[٤] :

قل للوزير، وقد قطعت بمدحه زمني ، فكان السجن منه ثوابي

لا تخش في حقي بما أمضيته من ذاك في ، ولا تَوَقّ عتابي

لم تخط في أمري الصواب موفقاً هذا جزاء الشاعر الكذاب

نجد هذا المطلع يعكس من خلال أسلوب الأمر الخذلان وخيبة الأمل والتحول في العلاقة من المدح إلى الهجاء، توظيف الأمر هنا لغرض العتاب وقد عمد لتكرار الأمر (لا تخش في الأمر ، لا توقّ عتابي) لتكثيف الدلالة ثم أتى بعده أسلوب النفي (لم تخط في أمري الصواب) يمنح الخطاب عمق أكثر واستمراراً أشد وهكذا يتشكل الأمر لديه في هذا النص .

---

[١] ديوان ابن زيدون ٦٠

[٢] ديوان ابن زيدون ٢٣٥

[٣] السابق ١٩٦

[٤] السابق ٢٥٥

ونجد قصيدة " البغي يصرع " قصيدة يتجلى فيها أسلوب الأمر في سياق النصح فيقول[١] :

أصخ لمقالتي ، واسمع وخذ ، فيما ترى أو دع
وأقصر ، بعدها ، أو زد وطر، في إثرها أو قع
ألم تعلم بأن الدهـــ ـــــر يعطي ، بعدما يمنع ؟

نلحظ تكرار أسلوب الأمر للتأكيد على أهمية الأخذ بهذه النصائح وقد قرن الأمر بالاستفهام الإنكاري ليؤكد المعنى الذي يريد .

ثانيًا: الجملة الندائية

تكثر المطالع التي تحوي على جملة النداء في قصائد ابن زيدون حيث يرد النداء في المطالع، فيرد أحيانا محصورًا في بيت واحد غير متبوع بنداء آخر مباشرة، فيكون بمثابة المفتاح الجديد الموضوع جديد وتكون المسافة بينه وبين صاحبه مثلا كالمسافات التي يستغرقها تحليل المواضيع المختلفة في القصيدة.[٢]

وغالباً تتفرد مطالع الجمل الندائية عند ابن زيدون بالموضوع الغزلي، يقول في قصيدة "وجهك شافعي " :

يا غزالاً ! أصارني موثقاً في يد المحنْ
إنني مذ هجرتني لم أذق لذة الوسنْ

الشعرية تكمن في هذ المطلع من خلال المزج بين ماهو حسي وماهو معنوي والجمع بين رقة الصورة وقسوة العاطفة مما يخلق أثراً وجدانياً قوياً كان سبيله النداء توظيف المنادى " الغزال" رمز الجمال في مقابل" المحن " رمز الألم يخلق توازناً يثري المعنى ويجعل التجربة الإنسانية أكثر عمقاً .

وفي نموذج آخ يقول[٣] :

ياساري البرق غاد القصر واسق به من كان صرف الهوى والود يسقينا

فالشاعر يستحضر صورة البرق كرمز ديناميكي حركي يعكس السرعة والحنين هذا التوظيف جعل البرق وسيلة اتصال بين الشاعر ومحبوبته ، مما يثري النص ، فاللغة تعبر عن الحنين في صورة تخيلية قوية .

وفي نص يوجه الخطاب لليل فيقول[٤] :

ياليل طل لا أشتهي إلا بوصل قصرك
لو بات عندي قمري مابت أرعى قمرك
ياليل خبر عنه : أنني ألتذ عنه خبرك
بالله قل لي : هل وفى ؟ فقال : لا ، بل غدرك !

يبدأ الشاعر بنداء الليل: "يا ليلُ طل" مما يضفي طابعًا حواريًا بينه وبين الليل، وهو عنصر طبيعي يتم استدعاؤه للتعبير عن المعاناة والحنين. النداء يحمل شحنة عاطفية قوية ويعكس حالة الشاعر النفسية، حيث الليل يصبح مشاركًا في معاناته. الشاعر يتحدث عن " الأمل" و" الوصال " مقابل الإطالة واليأس في الليل، مما يخلق توازنًا بين التمني والحزن و يضفي على الليل صفات إنسانية كأنه كائن يستجيب، كما في قوله: " لا أشتَهي إلا بوصلٍ فيَقصُرك "، مما يثري النص بالخيال ويبرز الجانب الشعري العميق.

---

[١] ديوان ابن زيدون ٢٥٦

[٢] الحسيني ،راشد بن محمد بن هاشل: البنى الأسلوبية في النص الشعري، دراسة تطبيقية دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٤، ص 230.

[٣] الديوان ٢٣٤

[٤] الديوان ٦٣

كما أن توظيف الألفاظ مثل " بوصل ، أرعى قمرك "، تحمل دلالات عاطفية وتُظهر حالة الشاعر النفسية المضطربة بين الرجاء والخوف.
الشعرية في الأبيات تتجلى في التكرار، أسلوب النداء، والتوظيف الرمزي لليل كصديق ومُناجى. هذه الخصائص تمنح النص بعدًا وجدانيًا عميقًا يجعل القارئ يتماهى مع تجربة الشاعر.

ثالثـاً : جملة الاستفهام

تعد شعرية الاستفهام من الظواهر الجمالية والأسلوبية التي تتسم بها اللغة الشعرية ، إذ يعد أداة فعالة في بناء النصوص فهو يتجاوز وظيفته النحوية التقليدية للتساؤل أو طلب الإجابة ، ليتحول إلى وسيلة للتأثير والتواصل الجمالي مع المتلقي وفتح آفاق المعنى مما يدعو المتلقي للتفاعل مع الدلالات المتعددة التي تنبثق من السؤال ، ويمثل ديوان ابن زيدون نموذجاً غنياً للتفاعل مع شعرية الاستفهام
نجده في مطلع قصيدة له يقول:
علام صرمت حبلك من وصول فديتك واعتززت على ذليل ؟
استخدام الشاعر للاستفهام كمطلع للقصيدة يعكس حيرته و دهشته ؛ فالاستفهامات المتتالية تطرح تساؤلات حول علاقة المحب بالحبيب مما يوضح البعد العاطفي والوجداني وكأن الاستفهام هنا يخرج لمعنى اللوم والعتاب .
وفي نص آخر بعنوان " أيوحشني الزمان ؟"يقول [١]:
أيوحشني الزمان وأنت أنسي ؟ ويظلم لي النهار وأنت شمسي ؟
الاستفهام في البيت ليس مجرد سؤال بل هو تعبير عن الشوق والحيرة العاطفية. يدعو هذا الاستفهام المتلقي إلى حالة من التفكير والتأمل في سبب هذا التغير العاطفي في حياة الشاعر.
استخدام الاستفهام "أيوحشني الزمان وانت انسي؟" يتكرر به المعنى بشكل غير مباشر ويزيد من حدة الإحساس بالفراغ والشوق، مما يقوي العاطفة المترابطة في البيت.

في الشطر الثاني "ويظلم لي النهار وأنت شمسي"، نجد تضادًا قويًا بين الظلام (الذي يظلم النهار) والنور (الشمس). هذا التضاد يعكس الحالة النفسية للشاعر في غياب الحبيب، إذ أن غيابه يعادل الظلام في حياته بينما وجوده كالشمس التي تضيء له كل شيء. كما يحتوي أيضاً على تشبيه ضمني، حيث شبه الشاعر الحبيب بالشمس، وهي رمز للنور والإشراق. هذا التشبيه يعكس تأثير الحبيب الكبير في حياة الشاعر ويعزز فكرة الاعتماد العاطفي. البيت يتمتع بإيقاع موسيقي سلس، بفضل التناغم بين الحروف والكلمات، وهو ما يزيد من تأثيره على المتلقي. تكرار الحروف الصوتية في الكلمات مثل " أيوحشني" و " النهار" و " شمسي" يساهم في خلق تناغم شعري يزيد من قوة المعنى العاطفي. تتجلى جمالية البيت في استخدامه للتضاد، التشبيه، الاستفهام، والتكرار لخلق صورة شعرية مؤثرة تعكس شدة الشوق والتعلق.
وفي ذات السياق سياق الحنين يقول في مطلع قصيدة " أفدي الحبيب " [٢]:
هل راكب ذاهب عنهم يُحَيِّيني ؟ إذ لا كتاب يوافيني فيُحْيِيني
نجد الشاعر لجأ للاستفهام للتعبير عن الشوق والحنين كما أسهم التشاكل اللفظي بين" يحيّيني " و " يحْييني " يعزز من تأثير هذا المعنى ، حالة الانتظار والترقب التي صور نفسها فيها تعكس عمق مشاعره .
من خلال هذه الأدوات الأسلوبية استطاع ابن زيدون أن يحقق شعرية متميزة ، تسهم في إضفاء الحركة والحيوية على النص ، وتمكن الشاعر من التعبير عن مشاعره وأحاسيسه بصورة أكثر تأثيراً .

[١] ديوان ابن زيدون ٢٥
[٢] الديوان ٢٦

الخاتمة ونتائج البحث:

لم يكن اختيار ابن زيدون وديوانه ميداناً للدراسة هذه، إلا وسيلة لبلوغ غاية التعرف على بعض عناصر الشعرية في القصيدة العمودية المحافظة وزناً، والمتجددة على صعيد الرؤيا والتشكيل الفني الجمالي.

وفي نهاية البحث تم رصد النتائج الآتية:

- إن الشعرية في تحولات مفاهيمها لا ينبغي لها أن تقف عند حد نهائي لا يضم أقطابها النظرية أو يصوغ شكلها التام لأن الشعر في طبيعته التطور في النسق والمضمون.
- إن الجمالية صفة حاضرة مع العمل الأدبي وملازمة له، وتعد من خصائصه التي يبني عليها النظام اللغوي واللساني، دون أن يؤثر على مكونه الفكري الملازم لحالة الإبداع.
- استوفى الخطاب الشعري عند ابن زيدون مقومات الشعرية التي وازنت بين الكلاسيكية الجديدة، والنسق الجمالي في تناوله لفن المدح والغزل وغيرها
- انفتح الخطاب الشعري عنده على الموروث في تنوع إيحاءاته ودلالاته، فاستطاع أن يحرك الجمل في القصائد دون المساس بشعرية القصيدة.
- من خلال قراءتنا للديوان وجدنا تنوع الخطاب الشعري عنده وتنوع الأساليب وغلب عليه صيغ الاستفهام في مطالع قصائده.
- كان لشعرية العنونة دور جوهري في تحديد توجه المتن، وعتبة هامة نحو مكاشفاته، وبؤرة نصية ناطقة عن النص ، جامعة لأشتاته محملة على كافة أبعاده التركيبية والدلالية من خلالها يستطيع المتلقي الولوج إلى النص وفهم أبعاده .

هذا والحمد لله أولاً وآخراً !

المراجع :

- أبو الريان، محمد علي : فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٨، ١٩٩٤.
- أيوب، سهيل: علي محمود طه شعر ودراسة، دار اليقظة العربية، دمشق، ط١، ١٩٦٢.
- ابن زيدون ، ديوان ، دار صادر بيروت ، لبنان
- بو مزير، الطاهر: أصول الشعرية العربية، نظرية حازم القرطاجني في تأصيل الخطاب الشعري، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٧.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: البيان والتبيين، ج ١، تحقيق و شرح : عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣.
- الحسيني ، راشد بن محمد بن هاشل: البنى الأسلوبية في النص الشعري، دراسة تطبيقية دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٤.
- حفني، عبد الحليم: مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.
- السد، نور الدين : الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، ج ١، مطبعة دار هونة، الجزائر، ٢٠١٠.
- سويف، مصطفى: الأسس النفسية في الإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٨١.
- شرتح، عصام: بدوي الجبل، بلاغة القصيدة وتشكيلها النصي، دراسة تأسيسية لشعرية الشعر، دمشق، ط١، ٢٠١٠.
- عبد الله محمد: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ،الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط١،
- عبيد محمد صابر: التشكيل الشعرى في الصنعة والرؤيا ، دار نينوى، دمشق، ط ١، ٢٠١١.
- عزام محمد :النص الغائب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠١.
- عزام، محمد: النقد والدلالة، نحو تحليل سيميائي للأدب، منشورات وزارة الثقافة بالجزائر، ط١، ١٩٩٦.
- العشي، عبد الله :أسئلة الشعر بحث في آلية الإبداع ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩.
- عقاق، قادة: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.
- علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
- القرطاجني، أبو حسن حازم : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن ام الغرب الإسلامية، ط٣، ١٩٨٣.
- القيرواني، ابن رشيق :العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج ١، دار الجيل، بيروت، ط ٤، ١٩٧٢.
- الكوفحي، إبراهيم: من ظواهر التشكيل الفني في شعر عبد الرحمن بارود، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى العلوم اللغات وآدابها العدد الثامن، رجب ١٤٣٣،٢٠١٢م.
- كوين، جان : بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد العمري ومحمد والي دار توبقال للنشر، ط١، ١٩٨٦.
- اللبدي، أيمن: الشعرية والشاعري، دار الشروق، عمان، ط١، ٢٠٠٦.

- مفتاح محمد: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠٠٥.
- ناظم، حسن: مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٤.